

بستان عائشة

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٢٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برلينا . شرق - لكس . 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣
برلينا داشروق - لكس . SHOROK 20175 LE

عبد الوهاب البياتي

بستان عائشة

دار الشروق

إلى زوجتي العزيزة هند :
لم أعرف سوى حبك على هذه الأرض
فحينى من جديد .
فبحبك يكبر الطفل / الشاعر الذى هو أنا

عبد الوهاب البياتى

مدريد ٢ - ١١ - ١٩٨٨

مرثية إلى خليل حاوي

(١)

حين انتظر الشاعر
ماتت عائشة في المنفى
نجمة صُبحٍ صارت:
لارا وخزامي / هنداً وصفاء
ومليكة كل الملكات
تمثالاً كنعانياً

نار حريقٍ في أبراج البترولِ
وفي أبيات « نشيد الانشاد »
ودماً فوق سطور « التوراة »
وجباهٍ لصوص الثورات .
صارت نيلاً و فرات
ونذورَ الفقراء
فوق جبال الأطلس ،
قافية في شعر أبي تمام .
صارت بيروت و يافا ،
جرحاً عربياً في مدن الأبداع
مندوراً للحبِ
ومسكوناً بالنار .
صارت عشتار

(٢)

حين ارتحل الشاعرُ
رسمت خارطةَ الأشياءِ خُطاهُ

(٣)

حين انتحر الشاعرُ
بدأت رحلته الكبرى واشتعلت في البحر رؤاهُ
وحين احترقت صيحهُ ملكوت المنفى
طفق الشعبُ القادمُ من صحراء الحبِ
يُحطم آلهة الطينِ
ويبنى مملكة الله

٢٨ - ٢ - ١٩٨٣

من أوراق عائشة

قالتُ : سأقتلُهُ

وأحمل رأسه لقييلتي

صنماً ، لتعبدهُ

وتحرقةُ ، إذا اقتلتُ

وفي الصحراء أبني معبدًا للحبِ

يحمل إسمهُ

تأوى إليه الطير، في زمن المجاعة
أرتدى الأسبال
أعقر ناقتي
في باب معبده أنوح.
قالت: سأحملُهُ
إذا مرتُ عصورُ
خاتماً في أصبعي
وأنوح في جوف الضريحُ

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

النأى

النأى يبكى : إنها الغاباتُ ، تبحتُ ، سيدى ،

عن قوتها فى باطن الأرض العميقُ .

النأى يبكى : إنها ربحُ الخريفُ .

النأى يبكى : إنها الأبراج داهمها الحريقُ

النأى : إنسانٌ يُقاومُ موته

موتَ الطبيعةِ والفصولِ

مدن الخوف

مدنٌ تعيشُ على الإشاعات / الأكاذيب / الأقاويل / الخواء

وعلى دم الإنسان والحق المضاع

وتنام في خوفٍ على باب الطواغيت الصغار

وبعضها / المدياع / تفتح ما تشاء

الحلزون

رجلٌ تَسْلَحُ بالنبوءةِ واللَّهيبِ
أَسْرَى بنارِ الرَّافِضِينَ
ومات في المنقَى وحيدٌ
كلماته اخترقت جدار الصمتِ
ذوّبت الجليدُ
فلمن؟ وماذا سوف تكتبُ عنه؟
يا حلزون ذاكرةِ المغنى والشهيدِ

الينابيع

سأَموتُ حَباً تَحْتِ خِيَمَتِهَا
أَعُودُ إِلَى الطَّفُولَةِ
رَاعِيًا غَنَمَ القَبِيلَةِ
مِثْلَ هَرُونَ الرِّشِيدِ
مَلِكًا وَسُلْطَانًا
عَلَى أَسْرَابِ مَمْلَكَةِ القَطَا
وَقَبَائِلِ الأَمْطَارِ فِي كُلِّ الفُصُولِ
ذَهَبِي : يَنَابِيعُ الحَيَاةِ
وَتُرُوتِي : قَلْقُ الوُجُودِ

ورقة أخرى

قالت : سأشقه

بليلِ ضفائري

مهما أطلتُ الانتظارُ

وأعيدهُ حجراً على درب القوافلِ

سدره / شيحاً وقيصوماً

وزهرةَ جنانارُ

قالت : سأغرس رمحهُ المسمومَ

في عينيه

حتى لا يرى ضوءَ النهار .

وبكتُ وطال بها الوقوفُ على الطلول البالياتُ

واستنجدتُ بالساحرات

لتعيدهُ حيًّا ،

ولكن الرياح السافيات

عفتُ على آثار أقدام الطريدِ

وأدرك الليل النهار

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

نار الشعر

(١)

قالتُ : « ستموتُ غداً ، مسموماً في المنى
أو مذبوحةً في سكينِ صديقٍ أو مُخبرِ سلطانٍ »
قال مخنثُ بابلَ : « أنت الآنُ
مأسورٌ ، باسمِ الشعراءِ الخُصيانِ »
لكني ، كنتُ أموتُ غريقاً
في النورِ القادمِ ، من أبعدِ نجمٍ ، محترقاً
في نارِ الشعرِ الزرقاءِ
أشحدُ أسلحتي ، وأداعبُ في موتي ، القيثارة

(٢)

كان يموتُ ببطءٍ ويناضلُ ضدَّ الحُلْمِ المأجورِ
كان شهيدُ النورِ .

كان يقاتلُ في يافا / البصرة / بيروت
وعلى بوابةِ «كردستان» وشط العرب المسحور يموتُ

(٣)

كان يشاهدُ أشباهَ رجالٍ ومخانيثَ وراءَ مكاتبهم يزنونُ .
كان الوطن العربي القابع تحت الأنقاض يشاهدهم
في عين المأخوذُ

يحصون القتلى من خلف مكاتبهم
يزنونُ

بعيون لصوص الديجور

(٤)

كان الشعب العربي يشاهد من تحت الأنقاضِ
نهايةَ عصرِ شهودِ الزورِ

(٥)

كان شهيدَ الوطنِ الصاعدِ من قاعِ الابداعِ غريقاً في النورِ

مدريد ٧-١٢-١٩٨٣

الملاك والشيطان

معجزةُ الحب الخالد « لارا »

تنهض من تحت رماد الأسطورة ، عنقاء

تتألق نجماً قطبياً

وتهاجر مثل الأنهار

تتقمص في ألواح الطين

وفي أختام ملوك « الوركاء »

صورةً عشتار

تصبح معشوقاً أزلياً في لاهوت العشاق
إحدى الربات
تتجلى في صور شتى
في أوراق البردي وفي المنحوتات
تغرى بعبادتها الشعراء
فإذا ما عبدوها
صاروا في الحب لها عبداً .
أغوتني
وأنا في المهد صبي
لكنني أصبحتُ عليها سلطاناً .
كانت في الحب ملاكاً
وأنا كنتُ الشيطان

نهر المعجرة

في نهر معجرة هذا الكون الشعريُّ
المسكون بروح الأسلافِ
كنا مثل فراخٍ لم تنبتْ ، بعدُ ، قوادمُها
نسبح ضد التيار

ونحاولُ ليلَ نهارٍ
أن نصطاد الثور الأسطوريَّ
لنذبحه قرباناً لإله الشعر المتجلى
في غبش الأسحار
كنا نتحدى
أزمةً شاخت وعصوراً تنهارُ
بصواعقٍ من نار.
كنا أطفالاً
لكنا في الحب كبارُ

النقاد الأديباء

جرذانُ حقولِ الكلماتِ

دفنوا رأسَ الشاعرِ في حقلِ رمادٍ

لكنَّ الشاعرَ فوقَ صليبِ المنفى

حملَ الشمسَ وطارَ

نيسان ١٩٨٦

مترو باريس

أشباحُ عددِ الرملِ

أنهكها المعنى واللا معنى في حمى البحثِ

ودوارُ الرفضِ

بعضُ منها يتزل أو يصعد من جوف الأرضِ

أملًا في البعثِ

منها : مَنْ يبكى / يترنج / يضحك
يعوي مثل الذئبِ
ويُخنى بجريدته وجهاً متعباً
ويُودعُ ضوءَ نهارٍ يرحلُ
يستبدل ذاكرةَ الأمس بأخرى
ويخاطب إنساناً مجهولاً في الغيبِ .
مَنْ يهذى / يتضور جوعاً / يتأبطُ
كتباً لم تُقرأ .
من يعزف لحناً / يشحدُ
يُلقي شعراً ويحلق في المطلقِ
مَنْ يرجو شيئاً لا يتحققُ .
وتظل الأشباح الأرضيةُ تنزل أو تصعدُ
في النفق الأسودِ

١٩٨٦

الولادة فى مدن لم تُولَدْ

أولدٌ فى مدن لم تُولَدْ

لكئى فى ليل خريف المدن العريية

- مكسورَ القلب - أموتُ

أدفن فى غرناطة حى

وأقولُ :

« لا غالبَ إلا الحبُّ »

وأحرق شعرى وأموتُ

وعلى أرصفة المنفى

أنهضُ من بعد الموت

لأولد فى مدن لم تُولَدْ وأموتُ

المُغْنَى الأعمى

مطرٌ يتساقط فوق مساجد طهرانُ

مطرٌ ونعاسُ

وسحابةٌ خوفٍ تجتاح الناسُ

لكنَّ مغنى الموتِ الأعمى

كان يغنى للموتى العميانُ

١٩٨٦

راقصة الدخان

راقصةٌ من بحر الصينِ
ترقص في صندوقٍ خزفيٍ
تغمضُ عينيها
تبكي
ممسكةً في يدها عصفورٌ
ترفعهُ قرباناً للنورِ
تقطف في يدها الأخرى زهرةَ نورٍ
تحفيها في قاع الصندوقِ .
تسقط مثل النجمةِ في بحر الصينِ
تتلاشى مثل دخانٍ في الريحِ

الشهيد

يتوهج في نور المشكاة

متحداً في ذات الله

لايفنى / مثل شعوب الأرض

يتحدى في ثورته الموت

١٩٨٤

عن كتب التاريخ

عاهرة كتب التاريخ

تدفن تحت الأنقاض : الشهداء القديسين

وُتبي أسماء شهود الزور

١٩٨٤

إلى خورخي لويس بورخيس

أعمى ، لكنك تُبصر في عين الكلمات

تتقرى باللمس المرآة

ورفوف الكتب الغرق بالنور

ونار اللوحات .

تُبصر - ما خلف الباب

ووراء قناع الأسطورة -

: مدناً تحت الشمس تموت

فرساً في غابة عبّاد الشمس جموح
نهرأ ينبع من جبل مسحور
بدوياً يصطاد غزاة
كانت جارية في قصر الواثق بالله .
كانت نافورة
في أزمان أخرى ، في قصر الحمراء .
أعمى لكنك تبصر
وجهي الآخر تحت قناع الموت
وضياعي في ملكوت المنفى :
من منا الأعمى
في سجن الحرية ؟
بيكي تحت الأسوار الحجرية ؟
ويموت وحيداً في الغربة
محكوماً بشروط اللعبة

مجنون أشبيلية

تحت الجيرالدا

أجمل إنسان في الأرض يموت

تحت الجيرالدا

آخر حب في الأرض يموت

تحت الجيرالدا

أصرخ مجنوناً وأموت

١٩٨٤

إلى بثينة اليكساندره

في بهو الليل الأسباني ، فتاةٌ نائمةٌ
يحرصها ثعبانٌ

وعلى قدميها يجثو عبدٌ

ينفخ في نايٍ ذهبيٍ

يبكي عشاقاً ماتوا في أوج صباهم

ويقول بصوتٍ داعمٍ

للجسد الهاجع :

كُوني ربةً شعري في آخر خطوةٍ

أخطوها حول المذبحِ

فالعالم مسرحٌ

والشاعر في خاتمة الفصل ضحيةٌ

ينهشه حفار القبر / النقاد اللؤماء

عن كتب التاريخ ، أيضاً
كاذبةٌ كتبُ التاريخِ
ما كان الإسكندر تلميذاً لأرسطو
ما كان سوى جلاّد
يغزو من أجل الغزو
لُيُشفي عِلته
بدماء جنود الفقراء

١٩٨٤

عملية تجميل

يتمنى أن يصبح من جنسٍ آخَرَ
أو ذيلًا

ولسانًا للآخَرَ

لكنَّ الحلاقَ الباريسيَّ "بجيل"

في قص شعور قصائدهِ

أو وضع الرأس مكان الرأس الآخَرَ

إلى نجيب محفوظ
ثرثرة فوق النيل؟
أم وجع القلب الإنساني المخدول؟
وهزيمة جيل؟
أم نار أطفأها في العوامة
أمر يحتمل التأويل؟

١٩٨٤

بغداد

مهما طال حوارُ الأبعادِ

فستبقى بغداد

شمساً تتوهجُ

نبعاً يتجددُ

ناراً أزليةً

رؤيا كونية

لطفولة شاعرٍ

١٩٨٤

الولادة

الابداعُ هو الحبُّ

والحبُّ هو الموتُ

والابداعُ / الحبُّ / الموتُ : ولادةٌ

فلماذا مات ، إذن ، نيرودا / حكمتُ ؟

ولماذا آخِرُ وردةٌ

في شرفة بيتي احترقتُ ؟

ولماذا نجمةٌ حبي أفلتتُ ؟

١٩٨٤

إلى يلماز غونيه

رجل وامرأة وقطار في ليل الأناضول

تحت الضوء ، تقول المرأة في خوفٍ : « ما هذا الليل ؟ »

مدن وقرى وذئاب تعوي جائعة ، تحت الثلج

ودخان الأنفاق المتتوية

وسعال الأطفال .

ليل ينذر بالزلال

قال الرجل النائم في همسٍ : « الليل هو الليل ! »
رجل آخر في أقصى العربة
يكتب تحت الضوء المنحوق رسالة
ويردد أغنية شاعت بعد الحرب الكونية في البلقان
تحدث عن حب غامض
ونبي شاعر
فإن الناس به / رجلٌ يغتاب صديقاً ويقول :
« هذي الدنيا خائنة ولعوب
تركب ظهر حمار بالمقلوب »
المرأة تبكى في خوف ، الرجل الأول يزجرها
ويقول لها : « ما هذا ؟
الفجر وشيكٌ والغاباتُ تتنفسُ في عمقٍ
والأرض تعانى أوجاعَ مخاضٍ »

١٩٨٤

بستان عائشة

بستانُ عائشةِ على « الخابور »
كان مدينةً مسحورةً

عربُ الشمالِ

يتطلعون إلى قلاعِ حصونها
ويواصلون البحث عن أبوابها

ويقدمون ضحيةً للنهر في فصل الربيع
لعل أبواب المدينة
تستجيب لهم
فَتُفْتَحُ / كلما داروا
اختفى البستانُ
واختفت الحصونُ .
فإذا خبا نجمُ الصباحِ
عادوا إلى « جلبِ » لينتظروا
ويبكوا ألف عام
فلعلمهم في رحلة أخرى إلى « الخابور »
يفتتحونها
ولعلمهم لا يُفلحون

فالموت عرّافُ المدينةِ
هادمُ اللذاتِ
يعرفُ وحدهُ
أين اختفى بستانِ عائشةِ
وفي أى العصور

١٩٨٧ - ١٢ - ٢٦

١٩٨٨ - ١ - ٢

اللقاق

تحط الرحال بأعلى الكنائس
أعلى المساجد
فوق القباب
تُجمَعُ عيدان أعشاشها
من هنا أو هناك
تبيض / تُفَرِّخُ / تفرد في الريح أجنحةً
لترق الفراخ .
فإن ضوأت نجمة القطب فوق المدينة
ذارفةً نورها في العراء
نما ريشها
واستطالت قوادمها في الهواء
تطير اللقاق عائدةً
لبلاد الضباب
مخلفةً صرخةً في أعلى السماء

القفص

لِتَكُنْ المقلع والحجرُ

لتكن الإنسان في صراعه الدامي مع القدر

لتكن المبدع والنار وصوت الريح والبشر

فأنت سيد الينابيعِ

وأنت سيد المطر

لكنك ، الآن ، حيسٌ

تنقر القضبان في القفصُ

المكتشفون

يتوجع العشاق في صحراء وحدتهم
يجوبون المساءات الكثيرة
حاملين جحيمهم
متوحدين / مُهشمين
لبثوا / بفعل تواصل الأزمان
في ملكوتهم / لا يكبرون

شابت نواصي الأرضِ
دبّ الموتُ في الغاباتِ
فانقرضت

وهم يفتحون ويُزهرون ويُثمرونُ
وبسحرهم قهروا التعاسةَ
واصلوا الابداعَ
في صحراء وحدتهم
وكانوا / ما يكونُ

تركوا على أسوار هذا الكونِ
بعض رموزهم
وَهُمْ إلى أرض الكواكب يرحلونُ

صورة جانبية لعائشة

تُخفى وراء قناعها وجه الملاك
وملامح الأنتي

التي نضجت على نار القصائد
أيقظت شهواتها ريحُ الشمال

فتجوهرت تفاعه / خمراً
رغيفاً ساخناً
في معبد الحب المقدس
أدمنت طيب العناق
ظهرت بأحلامي ، فقلت : فراشة
رفت بصيف طفولتي
قبل الأوان
وتقمصت كل الوجوه
وسافرت / بدمى تنام .
قديسة تنسل في جوف الظلام
لتعانق الصنم المَحَطَمَ
تنشب الأظفار في الحجر / الحطام

ياقوتةُ / فَمُها / تشع طريةُ /
نارُ الحقول /
ضفائرُ معقودةُ /
عينان تضطربان من فرط الحنان
وجه وراء قناعه ، يُخفي «مدائن صالح»
وحدايق الليمون في أعلى الفرات
أمضيتُ صيف طفولتي
فيها ، وأدركني الشتاء
وحملت في منفايَّ بعد رحيلها
ذهبَ القصائد والرماد

١٩٨٧ - ١٩٨٨

التجلى المُقدس

للوطن المدهوش في زوبعة الأوراق

للوطن المسكون بالعشاق

للوطن الضارب بالجدور في الأعماق

لشاعر تحوم حول وجهه المضاء

فراشة بيضاء

لكتب الأسفار

والليل والنهار

تطلّع الحلاج

مفترشاً « دجلة » في الخريف والقباب والأبراج

ونخباً الرأس الذي أُحرق بعد الصلب في الأمواج

١٩٨٣ - ١٩٨٤

الشاعر

أشعلَ في أصفاده النارَ ،
وقال لسجون الأرض أن تنهارُ
باح بسر حبه الفاجع للأمطار
وعندما استشهد في هياكل النور وفي المعراج
أودع في قصيدةٍ رمادُهُ
صار ضريحاً غامضاً يُزار

المهـج

تقطعت أنفاسه في أول الشوط وفي نهاية المضمار
خاف من الصعود والهبوط في دوائر الأصفار
وعندما خرّ على الأرض صريحاً
مدّ لليل يداً
وانهال بالأخرى على طفولة النهار
بسوطه ، وانهار

الځائنة

كانت ، على منوالها ، ثلاثة تځونُ :
حييها ونفسها وبعلاها المسكين
وعندما تځدج في مرآتها
ترى على صفحتها ځائنة العيونُ

مدريد فى عيد الميلاد

فى ساحة الأربعة الملوك

مرّ المسيحُ عابراً

بغصن زيتونٍ ووجهٍ شاحبٍ منحوت

من حجر الياقوت

وكان فى الساحة صعلوك على أكتافه

عباءة من ورق الجريف

وطفلة تشرب ، فى جانبه ، الكحول

وتنفث الدخان فى وجه مغول الريح

الوجه

وجهك في المرأة : وجهان

فلا تكذب

فإن الله

يراك في المرأة

سور الصين

تكسرت نصالهم فوق جدار سره الدفين

قالوا : انتهى !

وحفروا قبراً له

وسموا عينيه بالسكين

لكنه ، كان على صليبه مُعَلَّقاً

تضيئه البروق في ليل المنا في مثل سور الصين

إلى أوكشافيو باث

قلتُ لشمس الله أن تُشرق في الميعاد

قلت لها : شردّنى في هذه الديار :

الله والقيثار

لكنها غابت

ولم تشرق على منازل الشاعر في الميعاد

الولاية

أنشَبَ في لحم الليالي مخلباً وناباً
حجَّ إلى مدينة العشق
وفي حاناتها
أفرط في الشراب
وعندما بايعه الخمار بالولاية
أحسَّ بالنهاية

امراة

تعود كل ليلةٍ من قبرها النائى
إلى مدائن الصفيح
تمارس الحب مع الشيطان فى بيوتها
تصهل مثل فرس فى الريح
وكلما أدركها النعاس فى تجوالها
عادت إلى الضريح

البصرة

(١)

كانت ، كعادة ، أهلها البسطاء
تجترح البطولة والفداء
تستقصر التاريخ معجزةً
وشارات انتصار

وبوجهها العربي
في كل العصور
- مدينة الشعراء والعلماء -
قاومت الغزاة
وبأكرم الشجر النخيل
وشطها
كانت إلى الشهداء في معراجهم
زاد المعاد :
الشعر سر شباها
وبطولة البشر / البناة

(٢)

خصلات شعرك في مرايا البحر :
نافذة وعصفور يطير
ووردتان

وأنا المسافر في الزمان وفي المكانِ
وفي منافي الأبحدية والعروض
لغتي بضوئك أورقت
صارت قناديل المحبة
أزهرت
صارت منازل للقلوب
صار الزمان حديقةً
والبحر مرآة الحديقة والزمان

(٣)

كانت بلادى ترتدى ثوب الربيع
أوقفت راحلتى
وقلتُ : بكم تبيعُ
سلطانتى
هذا الضياء الأزرق الوردى
هذا الثوب
هذا الياصمينُ

قالت : « بكل قصائد الشعراء »

ضاحكةً

« ولكن ، لن أبيع ! »

١٩٨٧

الرجل المجهول

رجل من بين غبار السنوات

طرق الباب

حيّاني ، قلت له : « أهلاً ! »

لكن الرجل المجهول ، قبالة ، بابي ، مات

باب الشيخ

حبٌ من « باب الشيخ » ورائي
يمتد كخيطة مسحور
أمسكه ، فأرى بيتاً يغرق بالنور
أتطلع نحو الباب المغلق
في عيني طفل مبهور
أتوقف عند السور
أصرخ ، لكن الخيط المسحور
يصبح جرحاً في قلبي
ورماد بنجور

١٩٨٥

الطاووس

مدنٌ بالطاعون تموت وأخرى يضرها الزلزالُ
ومجاعات وحروب في كل مكان ودمار
وحضارات وعصور تنهار
لكنّ الطاووس ، بلا خجلٍ ، يُظهر عورته للناسُ

١٩٨٥

إلى يشار كمال
مخترقاً جدران الغرف الصماء
ولغات شعوب القارات
مصهوراً بالنار
والألم الخلاق
يتحدى الرمم الصلحاء
وصغار الكتاب
أشعل باسم الإنسان المُقعم موتاً
ثورة إبداعٍ في الابداع

١٩٨٥

طفولة شاعر

عائشة بنت السلطان

كانت من أعلى نافذة في قصر السلطان

ترنو لخيول السلطان

وعبيد السلطان

كانت ترشقني - وأنا أبكي

تحت النافذة العليا

مكسور القلب - بوردة

لكئي أتجاهلها ،

وأقول لنفسي

وأنا أبكي في حرقه :

ماذا لو أسرجت حصاني وغزوتُ البلدة

القصيدة

يتجول في نومي رجلُ النورِ
يتوقف في الركن المهجور
يُخرج من ذاكرتي ، كلماتٍ
يكتبها
ويُعيد كتابتها في صوت مسموعٍ

يمحو بعض سطور
ينظر في مرآة البيت الغارق بالظلمة والنور
يتذكر شيئاً
فيغادر نومى
أستيقظ مذعوراً
وأحاول أن أتذكر شيئاً
مما قال ومما هو مكتوب
عبثاً ، فالنور
مسح الأوراق وذاكرتى
ببياض الفجر المقتول

المغول

كان المغول على ظهور الصافناتِ -

دُمىٌ يُحركُ واهيات خيوطها

عصر يموتُ

غريزةُ التاريخِ

تحت سماء موت الآخرينَ -

عيونهم نحرزُ ملونهُ

بأعناق السهوبِ :

مجاعةُ / برق / بكاء الأرضِ

قبل مخاضها الدامي

وجوهُ تقرأُ الأفقَ المُغشى بالحرائقِ :

إنها حمى الولادةِ

إنه الطاعونُ

حاصر « قندهارَ »

وحاصر المدنَ التي ذُكرتُ

بأسفار اليهودِ

وشقَّ أرحامَ السبايا

سمَّ الأنهارَ

حطم سقف هذا الكون

داس بئيله جثث الملوك
أماط عن وجه الطبيعة سرها المكنون
عري نطفة العدم الذي يسرى بشريان
الوجود / أعاد خلط الماء والأوراق
والنار / الضحايا والغزاة : عجينة عمياء
تبحث في المرايا
عن وجوه القادمين من السهوب
ليحرثوا بسيوفهم
عطش الحياة وجوعها

.....

وعلى رماد حرائق المدن
التي نذفت دماً
هزيم المغول

رجل وامرأة

يسقط الثلج على مدخنة البيتِ

وفي بهو المرايا

امرأة منتظرة

رجل في دمها ، يحرق ، مأخوذاً

حقولَ الجسد المزدهرة

رجل يُولد من أضلاعها

يسكن فيها

يحتفي في الذاكرة

نابضاً في قطرات دمها المفترسة

صاعداً كالشجرة

في خلاياها وفي أوصالها المرتجفة

رجل عانقها

فاشتعلت في دمها ، نارُ الفصول الأربعة

الحصار

إلى خليل حاوي في ذكراه

محبوزةٌ : كل منافي الأرض والسجونُ

أقبية التعذيب والجنون

أقنعة المهرجينَ

وقناني الخمر والسمومُ

مطاعم المدينة / الملاعق / الصحون

قصائد التفعيلة / العمود

محاكم التفتيش

تذاكر المسارح / الملاجئ / القبور

كينونة الحب / قباب النور

أضرحة الملوك .

عواصم الخيانة / اللاهوت
فأين يمضى شاعرٌ
نجا من الموتِ
لكى يموتُ

١٩٨٨

الطَّلَسْم

أحرقني برقُ العشقِ ، صغيراً
أحرقني الصمتُ / الطلسم / السحرُ
الأسودُ في قاع مدينتنا / مصباح علاء الدين
أنين الأشجار المقتولة في السردابُ

صبيحاتُ الجنىُّ المحبوسُ / نداءُ الباعةِ في الأسواقِ
موتُ الأطفالِ / العشاقُ / هديلُ حمامِ الأبراجِ
صرخاتُ الصوفيِّ المأخوذِ بذكرِ الله
صلواتُ الأسحارِ
قصصُ الجداتِ
لحمُ الحيوانِ المذبوحِ يعلقُهُ القصابُ / عيونُ
القططِ السوداءِ
أخبارُ الحلاجِ / عويلُ النسوةِ في بابِ السجنِ /
نعوشُ الأمواتِ
ليلُ الإرهابِ الملكيِّ الأسودِ / عقمُ السنواتِ
كتبُ النحوِ الصفراءِ

أحرقني البؤس / الضوء / التجوال
بجذاء مثقوب تحت الأمطار
أيام الأعياد
أنوار مآذن بغداد
باب الشيخ / نذور الفقراء .
أحرقني برق العشق ،
صغيراً كنتُ
وكانتُ
فبماذا تأمرني ، سيدتي ، الآنُ

١٩٨٨

وردة الثلج

وردةُ الثلج ، هنا ، ترقدُ

هل أحببتَها يوماً؟

لماذا لا تجيب؟

بكتُ العرّافَةُ العمياءُ

لَمَّا قرعتُ شاهدةَ القبرِ

فلم ينهض من القبرِ سوى هذا الصليبِ

ورماد الورق الأسود والأحمر
يطَّأير في ريح المغيب
أى حب هو هذا؟
عندما يكتشف الشاعرُ في منفاةُ
سرَّ الآلهة
نيزكاً يسقط في البحرِ
عواء الرغبة المشتعلةُ
قارة غامضة تظهرُ ، ليلاً ،
في بياض الورقة
غابة / قافية محترقةُ
نجمة مؤتلفةُ
عندما يصبح هذا النصُّ مفتوحاً
وهذا القرع في شاهدة القبر
حضوراً في الوجود
تنهض الوردةُ من تابوتها
حاملة نار جنون العشق
نار الملكوتُ

١٩٨٨

صورة جانبية لمدينة ما

مقبرةً تعلوها مقبرة ، بينهما
الحب / الموت / البشر الأحياء
والشحاذون وأهل اليسر البخلاء
فإذا ما صحت بأعلى صوتك
عاد الصوت مليئاً بلهات الموتي
وسعال شتاء السنوات
وإذا ما حاولت فراراً
طاردك الباعة والعيّارون الشطار
في تلك المقبرة الكبرى
في تلك الطاحونة
في تلك الصحراء
نُحرتُ آلهة الشعرِ
ومات الشاعر في حانوت الخمار

سر النار

في آخر يوم ، قَبَلْتُ يديها

عينها / شفيتها

قلتُ لها : أنت ، الآن ،

ناضجةٌ مثل التفاحة

نصفك : امرأةٌ

والنصف الآخر ليس له وصفٌ

فالكلمات

تهرب مني

وأنا أهرب منها

وكلانا ينهار

لطفولة هذا الوجه القمحي

وهذا الجسد المشتعل الريان

أبتهلُ الآن

وأقرب وجهي

من هذا النبع الدافق ، ظمآن .

في آخر يوم ، قلتُ لها :

أنتِ حريقُ الغاباتِ

وماءُ النهرِ

وسرُّ النارِ

نصفك ليس له وصفٌ

والنصف الآخر : كاهنة في معبد عشتارُ

مملكة الشاعر
مملكة الشاعر حاصرها الأعداء
دهموا بوابتها
ذبحوا ، بسيوف الغدر ، الحراس
نصبوا مشنقةً في ساحتها
وأقاموا الأعراس
شقوا صدر الشاعر
لم يجدوا في داخله
إلا مقبرةً ، كان الثلج يغطيها
وأسامى معبودات مُسحتُ
وأزيلتُ
من فوق قبور جرفتها ، الأمطار
وقصائد حب جعلوها بعد الأعراسِ
طعاماً للنار
حكّموا بالنفي على الشاعر بعد الموتِ
أقاموا حول المنفى ، الأسوار

الدرع

وطنى درعٌ فولاذيٌّ

يحمى غُرَّةَ بغداد

كعبة حب يجرسها الله

كل غزاة التاريخ انهزموا

في بوابتها

صاروا في ذاكرة التاريخ رماد

يتبارى في قوس الشمس ، دفاعاً

عنها الأسلاف / الأحفاد

إلى أسماء البياق

ترسّمُ وجهَ ملاكٍ لم يُولَدَ بعَدُ

قلديساً يتعبد

بدويّاً ، بربابته ، يبكي هنداً أو دعدُ

تفجيراً نوويّاً

حرب عصاباتٍ

إضراباً بالقوة يُمنعُ

وجه المتنبي المتعب
يتحدى فلوات المطلق
في نظرات لا تُقهر.
ترسم مذبحه في مصنع
أسداً يزأر
عصياناً في سجن يُقمع
ملكاً من حجر البركان يصلح للنار
نهاراً يرحل
خيط دخان يتلوى
رؤيا إنسان يتمرد
ترسم قصر الحمراء بلون الشفق الدامي
والأسود والأبيض

حديث الحجير

حجرٌ ، قال لآخرُ :

لم أسعد بوجودي في هذا السور العارى

فكأنى هو قصر السلطان

قال الآخرُ : يا هذا

محكوم بالموت عليك

سواء كنت هنا أم في قصر السلطان

فغداً يُهدم هذا القصرُ

وهذا السورُ

بأمرٍ من حاشية السلطان

ليعيدوا اللعبة من أولها

ويعيدوا توزيع الأدوار

بكاية إلى صلاح جاهين

كانت أعواماً جاحدةً

في ليل شتاء العرب القاسي

كانت أعواماً جوفاء

فيها مُسِحتْ ذاكرةُ الإنسانِ

ومات الشعراءُ

وامتُهن الفكرُ

وديست أحلام الفقراء

فيها سُمِّت الآبار
وظفت جيف الكتاب المأجورين
وصاروا وعاظاً في الصحف الصفراء .
فيها انهزم الثوار
صاروا أيتاماً ورعايا
في زمن البترول / الشيطان .
في ليل شتاء العرب القاسي هذا
كان صلاح
يذوى في صمتٍ ويموت ببطءٍ
ويحرج أذيال الغربةِ
في دائرة الضوءِ
ويُخفي خيبته في ضحكة طفلٍ
فاجأه موتُ النورِ
وبرد السنواتِ
فبكى مثل الرجل / الطفل المخدول ومات

سوق الوراقين

(١)

صورة كانت لطاووس مخنث

تتحدث

عن زمان داعر، أصبح فيه الحبُّ سلعةً

وبضاعة

في الخوانيت تُباع

ولها في السوق دلال ونحاس وشاعرٌ

ولها في العالم الغارق بالحرمان والبؤس مواسمٌ

تُشترى فيها ، تُباع

لجموع البؤساء

صوراً للعاريات

مثلاً في العالم السفلى من أحياء / روما الفقراء

صور العرى على أرصفة الليل ، تُباع

النار

(٢)

قيل لى : من أنت ، قلت : النار فى هذى المنازل
وأنا الحب المقاتل
وغد الياس المناضل
فى خيانات القبائل
وشهيد ، كان مقتولاً وقاتل

بائع الحب

(٣)

بائع الحب يرى الشعر بيوتاً للبقاء

وأكاذيب دخان في الهواء

ورجالاً في عبايات نساء

ونساء في سراويل رجال

ومخانيث على أرصفة التاريخ ، صاروا شعراء

الشهداء

(٤)

شهداء الكلمة

سكنوا عصر الطواغيت وباحوا بعذاب الكلمة

وبسر الكلمة

حملوا أكفانهم واحترقوا بالكلمة

عند شيطان العصور المظلمة

راكب الموجة

(٥)

يأخذ الطاووس في المرآة شكل امرأة منطفئة

وخريف امرأة محترفة

ليخون الكلمات

ومعاني الكلمات .

كان في عصر الخيانات وفي أزمنة الحرف الغراب

شاعراً من ورق ينسل من شق كتاب

ليخون الشعراء

كاشفاً عن ذيله في زحمة السوق

ليركب

موجة الشعر ويغرق

بانوراما « أصيلة »

إلى رافع الناصري

(١)

أوراق خريفٍ تجرفها موسيقى الريحِ

وطيف الألوان

تتوهج فوق الجدران البيض وفي اللوحات

حانات الشعراء

وطيور الماء .

يغسل ملحُ البحر جراحى

أتعرى من أقنعتى

أولد تحت الفرشاة

رسماً فوق جدار

أصرخ لكن الألوان تحاصرني
ورذاذ البحر المهذار
أغمض عيني
فأرى أجنحة تنبت لي
وأرى أفقاً من نازٍ
وحداتق من ذهب رُسمت بالحبر الصينيِّ
تحيط بها موسيقى الماء
وفراشات تتقدم تحت قناع نساء
من كل عصور الابداع
أغمض عيني ، فأراها تتقدم نحوي
حاملة قربان البحر وطيف الألوان
تتوهج فوق الجدران البيض وفي اللوحات
وردةٌ حب حمراء

العاشق

(٢)

يروى « بن عيسى » العاشقُ

وولى « أصيلة »

إن الله تعالى

خلق الدنيا في ستة أيام

في اليوم الأول

خلق النار / الأرض / الإنسان

في اليوم الثاني والثالث

خلق الموسيقى

في اليوم الرابع

خلق الشعر / الفن / وأعطى الفنان

في اليوم الخامس : قوس الألوان

في اليوم السادس

لبست ثوب العرس « أصيلة »

نار من داغستان

(٣)

راقصة من أرض السحر الأسود جاءت

تُشعل ناراً

في أرض السحر المشهود

شفتها عسل ونيذ .

قالت للساقى المأخوذ :
زدنى عسلاً ونبيداً ، فالليل يطول .
قالت عيناها للنور
زدنى نوراً ، فأنا جائعة للنور
قالت للعود :
زدنى حباً ، فالحب وجودى
وبدون الحب أموت
قالت : سأقول
لكنى ، لا أدرى ، ماذا سأقول ؟
فالريشة فوق العود
وكلانا / مفقود

ناظم حكمت ، كان هناك

(٤)

ناظم حكمت

لم يسعد في حلب ، فطفولته

فيها كانت عسلاً

لكن النحل أتى بغد الخمسين

ناظم حكمت
لم يسعد في أى مكانٍ ، فهو الآنَ ،
وحيد منقًى تحت سماء بلاد أخرى
في قبر يغمره ثلج عصور التكوين
وكما في الرؤيا ...
كان معى ، يتأمل وجهاً وقناعاً
لفتاة في العشرين
طارت كالنحلة واحترقت
في نار خريف البشر الفنانين
أتذكره وهو يقول ، بحزن الرائين
سلطانة حبي
صُبي الخمر لضيفٍ ، لم يسعد
في حلب أو برلين

الموت فى الشعر

(٥)

سرنا نحو البحر، نُودِّعُ شمس نهارٍ
غاصت فى الموج ، فقالت :
الشعر حرام كالحمرة
لكنى فى الشعر أموت
من هى « لارا » هل هى « عائشة »
أم هى هذا الأفق الموصود
قلت : هى الحب الضائع والزمن المفقود
وإذا شئت مزيداً
فهلمى فى البحر نغوص

إلى محمود الراشد

(٦)

يتأبط نجماً وغزلاً « محمود الراشد »
ويغنى لطيور مرّت من فوق « أصيلة »
كانت في الليل تهاجرُ

نحو الأصقاع الدافئة المسحورة

آخرها في القطب

وأولها في مدن الأسطورة

ويغنى لطفولة

ضاعت في المنفى

ومقامه « باريس » المجهولة

ولأمّ في « حلب » لم يبق لديها إلا الصورة

المهجرة من الذات

(٧)

بدأ استشهادى

بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا

سكنتنى الموسيقى

داهنى ليل هيولى

اشتعلت روى شوقاً للعود الأزلى

فصرتُ ، أدور وحيداً فى فلك الايقاع

متحداً في موسيقى الكون ونبض القلب الملتاع
وحين عبرت الخط الأحمر للدنيا
لمعت في عتمة نفسي شارات ضياء
وحوار ما بين الأحياء الموتى
والموتى الأحياء
سكنت روحى في الكلمات
نهرأ قدسه رمز كوني
صار الوجه الآخر للدنيا
صار الاشراق
ظهر الوجه الخالد للحب
انتصر الابداع
قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها
الشعراء
من أجل خلاص الإنسان

.....

.....

بدأ استشهادى وخلاصى
حين عبرت الخط الأحمر للدنيا
مخترقاً كينونة حى السماء

أصيلة / مدريد
٦ - ٩ - ١٩٨٥

- (١) قصيدة (نار الشعر) مهداة إلى الأستاذ بيدرو مارتينث مونتابث
- (٢) القصائد : التجلى المقدس / الشاعر / المهرج / الخائنة / مدريد في عيد المي
الوجه / سور الصين / إلى أوكتايفو باث / الولاية / امرأة
مهداة إلى الأستاذ نخلدون الشمعة .
- (٣) قصيدة (نهر الحجر) مهداة إلى الأستاذ فيدريكو آرنوس

محتويات الكتاب

- ١ - مرثية إلى تحليل حاوى ٧
- ٢ - من أوراق عائشة..... ١٠
- ٣ - الناي.. ١٢
- ٤ - مدن الخوف..... ١٣
- ٥ - الخبزون ١٤
- ٦ - الينابيع..... ١٥
- ٧ - ورقة أخرى ١٦
- ٨ - نار الشعر. ١٨
- ٩ - الملاك والشيطان. ٢١
- ١٠ - نهر الحجره ٢٣
- ١١ - التقاد الأدياء ٢٥
- ١٢ - مترو باريس ٢٦
- ١٣ - الولادة في مدن لم تولد ٢٨
- ١٤ - المعنى الأعمى..... ٢٩
- ١٥ - راقصة الدخان..... ٣٠
- ١٦ - الشهيد..... ٣١
- ١٧ - عن كتب التاريخ ٣٢
- ١٨ - إلى خورنخي بورخيس ٣٣
- ١٩ - مجنون أشبيلية ٣٥

- ٣٦ - إلى بثينة اليكساندرية
- ٣٧ - عن كتب التاريخ ، أيضاً
- ٣٨ - عملية تجميل
- ٣٩ - إلى نجيب محفوظ
- ٤٠ - بغداد
- ٤١ - الولاية
- ٤٢ - إلى يلماز غونيه
- ٤٤ - بستان عائشة
- ٤٧ - اللقالق
- ٤٨ - القفص
- ٤٩ - المكتشفون
- ٥١ - صورة جانبية لعائشة
- ٥٤ - التجلي المقدس
- ٥٥ - الشاعر
- ٥٦ - المهرج
- ٥٧ - الخائنة
- ٥٨ - مدريد في عيد الميلاد
- ٥٩ - الوجه
- ٦٠ - سور الصين
- ٦١ - إلى أوكتافيو باث
- ٦٢ - الولاية
- ٦٣ - امرأة
- ٦٤ - البصرة
- ٦٨ - الرجل المجهول
- ٦٩ - باب الشيخ
- ٧٠ - الطاووس

- ٤٦ - إلى يشار كمال ٧١
- ٤٧ - طفولة شاعر ٧٢
- ٤٨ - القصيدة ٧٣
- ٤٩ - المغول ٧٥
- ٥٠ - رجل وامرأة ٧٨
- ٥١ - الحصار ٧٩
- ٥٢ - الطلسم ٨١
- ٥٣ - وردة الثلج ٨٤
- ٥٤ - صورة جانبية لمدينة ما ٨٦
- ٥٥ - سر النار ٨٧
- ٥٦ - مملكة الشاعر ٨٩
- ٥٧ - الدرع ٩٠
- ٥٨ - إلى أسماء البياتي ٩١
- ٥٩ - حديث الحجر ٩٣
- ٦٠ - بكائية إلى صلاح جاهين ٩٤

الدينونة

- ٦١ - سوق الوراقين ٩٨
- ٦٢ - النار ٩٩
- ٦٣ - بائع الحب ١٠٠
- ٦٤ - الشهداء ١٠١
- ٦٥ - راكب الموجة ١٠٢

بانوراما أصيلة

- ٦٦ - إلى رافع الناصري ١٠٤
- ٦٧ - العاشق ١٠٦

- ٦٨ - نار من داغستان ١٠٧
٦٩ - ناظم حكمت ، كان هناك ١٠٩
٧٠ - الموت في السر ١١١
٧١ - إلى محمود الراشد ١١٢
٧٢ - الهجرة من الذات ١١٣
٧٣ - هامش ١١٦

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٢٢٢٠
التزقيم الدولي ٤ - ٣٠٦ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

التتامة، ١٦ شارع حراد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

حين انتظر الشاعر
ماتت عائلة في المنفى
نجمة صبح صارت :
لارا وخرأى / صداً وصفاً
ومليكة كل الملكات
تجماً لا كنعانياً

نار حريمه في أبراج البترول
وفي أبيات «نشيد الانذار»
ودماً نوره بطور «التوراة»
وجباه لصوم التوراة
صارت نيلاً وفراشاً

To: www.al-mostafa.com